لحظة من فضلك

أي الطريقين تسلك ؟

إعداد

دار القاسم

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرورنا أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله له صولات وجولات بقلمه السلس الجميل، فكيف إذا كتب تعريفًا سهلاً مبسطًا عامًا بدين الإسلام، لا شك أن القلم سيصل أوج تألقه، ها هو رحمه الله يقول:

إذا كنت مسافرًا وحدك فرأيت أمامك مفرق طريقين: طريقًا صعبًا صاعدًا في الجبل، وطريقًا سهلاً منحدرًا إلى السهل:

الأول: فيه وعورة وحجارة منثورة، وأشواك وحفر، يصعب تسلقه، ويتعسر

الســـير فيـــه، ولكن أمامه لوحة نصـــبتها الحكومة فيها، إن هذا الطريق على وعـورة أوله، وصعوبة سلوكه، هو الطريق الصحيح، الـــذي يوصل إلى المدينة الكبـــيرة والغاية المقصودة.

والثــاني: معبَّد، تظلله الأشــجار ذوات الأزهــار والمثــار، وعلى جانبيه المقــاهي[1] والملاهي، فيها كل ما يلذ القلب، ويسر العين، ويشـــــنف[2] الأذن، ولكن عليه لوحة فيها: إنه طريق خطر مهلك، آخره هوة فيها الموت المحقق والهلاك الأكيد.

فأي الطريقين تسلك؟

لا شك أن النفس تميل إلى السـهل دون الصـــعب، واللذيذ دون المــــؤلم، وتحب الانطلاق وتكره القيود، هـذه فطـرة فطرها الله عليها، ولو ترك الإنسان نفسه وهواهــا، وانقــاد لهــا، ســلك الطريق الثــاني، ولكن العقل يتـدخل ويـوازن بين اللـذة القصـيرة الحاضرة يعقبها ألم طويـل، والألم العـارض

---

1 (?) أقهى: داوم على شرب القهوة.

2 (?) الشــنف: القــرط الحلق وهــذا التعبــير هنا على المجاز.

المؤقت تكون بعده لذة باقية، فيؤثر الأول.

هذا هو مثال طريق الجنة، وطريق النار؛ طريق النـــار فيه كل ما هو لذيذ ممتع تميل إليه النفس، ويــدفع إليه الهــوى، فيه النظر إلى الجمال ومفاتنه، فيه الاستجابة للشهوة ولـــذاتها، فيه أخذ المـــال من كل طريـــق، والمال محبوب مرغوب فيه، وفيه الانطلاق والتحرر، والنفــوس تحب الحرية والانطلاق، وتكره القيود.

وطريق الجنة فيه المشــقات والصــعاب، فيه القيـــود والحـــدود، فيه مخالفة النفس ومجانبة الهــوى، ولكن عاقبة هــذه المشــقة المؤقتة في هــذا الطريق اللــذة الدائمة في الآخــرة، وثمــرة اللــذة العارضة في طريق النـــار: الألم المســـتمر في جهنم؛ كالتلميذ ليـــالي الامتحـــان؛ يتـــألم حين يـــترك أهله عــاكفين على الــرائي[1] يشــاهدون ما يسر ويمتع، وينفــرد هو بكتبه ودفــاتره، فيجد بعد هذا الألم لذة النجاح، وكالمريض يصبر أيامًا على ألم الحمية عن أطايب الطعــام فينــال

---

[1] (?) الرائي والرائي: كلمتان وضعتهما للتلفزيون، وهما اسم فاعل بمعنى اسم المفعول على المجاز العقلي، كقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَــةٍ رَاضِــيَةٍ﴾ [القارعــة: 7] أي: في عيشة مرضية.

بعدها سعادة الصحة.

وضع الله الطــريقين أمامنــا، ووضع فينا ملكة نفــرق بينهمــا، نعــرف بها الخــير من الشــر؛ ســواء في ذلك العــالم والجاهــل، والكبير والصغير، كل منهم يستريح ضـميره إذا عمل الخير، ويـنزعج إذا أتى بالشــر؛ بل إن هذه الملكة موجودة حـتى في الحيـوان؛ القط إذا ألقيت إليه بقطعة اللحم أكلها أمامك متمهلاً مطمئنًـــــا، وإذا خطفها ذهب بها بعيـدًا، فأكلها على عجـل، وعينه عليـك؛ يخـــاف أن تلحق به فتنزعها منــــه، أفليس معــنى هــذا أنه أدرك أن اللقمة الأولى حق له، والثانية عدوان منه.

أليس هذا تفريقًا منه بين الحق والباطل، والحلال والحرام؟

والكلب إذا عمل حسـنًا تمسَّـح بصـاحبه، كأنه يطلب منه المكافــأة، وإذا أذنب نــأى فوقف بعيــدًا يبصــبص بذنبــه، كأنه يبــدي المعذرة أو يتوقع العقاب.

وهـــذا تأويل قوله تعـــالى: ﴿**وَهَـــدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ **[البلد: 10]**.

وأقـــــام الله على طريق الجنة دعــــاة يدعون إليه ويـدلون عليـه، هم الأنبيـاء، كما قـام على طريق النـار دعـاة يـدعون إليـه، ويرغبون فيه، هم الشياطين، وجعل العلماء ورثة الأنبيـــاء، فاطمة بنت محمد ما ورثت منه مالاً ولا عقارًا، والعلماء ورثوا منه هـذه الدعوة؛ فمن قـام بها حق قيامهـا، اسـتحق شرف هذا الميراث.

وهذه الدعوة صعبة؛ لأن النفس البشرية طبعت على الميل إلى الحريـــة، والـــدين يقيدها، وعلى الانطلاق وراء اللـذة، والـدين يمسكها؛ فمن يدعو إلى الفسق والعصـيان، يوافق طبيعتهـا؛ فتمشي معه مشي المـاء في المنحـدر، أصـعد إلى خـزان المـاء في رأس الجبـل، فأثقبه بضـربة معـول، يـنزل المـاء وأنت واقف حـتى يسـتقر في قـرارة الـــوادي، فـــإذا أردت أن تعيـــده لم يعد إلا بمضـــخات ومشـــقات ونفقـــات بالغـــات، والصخرة الراسية في الـذروة لا تحتـاج إلى زحزحتها وإمالتها حتى تتدحرج وتهوي؛ تنزل بلا مشـــقة ولا تعب، فـــإذا أردت أن ترجعها

وجدت المتاعب والمشقات، وهذا هو مثـال الإنسان.

الرفيق الشرير يقـول لـك: ها هنا امـرأة جميلة تـــرقص عارية فتميل إليها نفســـك، ويــدفعك إليها هــواك، ويســوقك إليها ألف شيطان، فلا تشعر إلا وأنت على بابها، فـإذا جـاء الواعظ ليصـرفك عنهـا، صـعب عليك الاستجابة إليه، ومقاومة ميل نفسك، وهوى قلبك.

فدعاة الشر لا يتعبون ولا يبـذلون جهـدًا؛ ولكن التعب وبـذل الجهد على دعـاة الخـير وعلى الوعـــاظ، داعي الشر عنـــده كل ما تميل إليه النفس من العــورات المكشــوفة والهـــوى المحـــرم، وكل ما فيه متعة للعين والأذن ولـــذة القلب والجســـد، أما داعي الخـــير فما عنـــده إلا المنـــع؛ تـــرى البنت المتكشـــفة فتميل إلى اجتلاء محاســـنها، فيقــول لــك: غض بصــرك عنهــا، ولا تنظر إليهـا، ويجد التـاجر الـربح السـهل من الربا يناله بلا كد ولا تعب والنفس تميل إليه فيقول له: دعه وانصـرف عنه ولا تمد يـدك إليـــــه، ويبصر الموظف رفيقه يأخذ من

الرشـــوة في دقيقة واحـــدة ما يعـــدل مرتبه عن ستة أشهر، ويتصور ما يكون له بها من سعة، ومما يقضي بها من حاجـات، فيقـــول له: لا تأخذها، ولا تستمتع بها.

يقول لهم: اتركوا هذه اللـــذات الحاضـــرة المؤكدة؛ لتنالوا اللذات الآتية المغيبة، دعـــوا ما ترون وما تبصرون، إلى ما لا تـــرون الآن ولا تبصـــرون، فـــارموا ميل نفوســـكم وهـــوى قلـــــوبكم، وذلك كله ثقيل على النفس، ولا تنكروا واصـــفي الـــدين بأنه ثقيـــل؛ فـــإن الله سـماه بـذلك في القـــرآن فقـــال: ﴿**سَنُلْقِي عَلَيْـكَ قَـوْلاً ثَقِيلاً**﴾ **[المزمـــل: 2]**، وكل المعـــالي ثقيلات على النفس، تـــرك التلميذ الرائي والإقبـال على الـــدرس ثقيـــل، وتـــرك النـــائم فراشه والنهـــوض إلى صـــلاة الفجر ثقيـــل، وهجر الرجل زوجه وولـــده ومشـــيه إلى الجهاد ثقيل.

لذلك تجد الطالحين أكثر من الصـــالحين، والغـــافلين الســـادرين في الغي أكـــثر من الذاكرين والسالكين سبيل الرشـــاد، ولـــذلك كـــان أتبـــاع الكـــثرة بلا بصر ولا دليل يضل فاعله في أكثر الأحيـان: ﴿**وَإِنْ تُطِـعْ أَكْثَـرَ**

مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ
﴾ [الأنعـام: 116]، ولـولا أن القلة والنـدرة من صـــــفات الســــمو والرفعة ما كـــان الألماس[1] نادرًا، والفحمُ كثـيرًا موفـورًا، ولا كـــان العبـــاقرة والنـــابغون والأبطـــال المتميزون، قلة في الناس.

إن الأنبيـاء وورثتهم من صـالحي العلمـاء هم الــدعاة إلى طريق الجنــة، والشــياطين وأعـــوانهم من الفاســـدين المفســـدين من النـــاس هم الـــدعاة إلى طريق النـــار، وقد جعل فينا في داخلنا أنصارًا لهـؤلاء وأنصـارًا لهـــؤلاء، في داخلنا حـــزب هو مع الأنبيـــاء، وحزب هو حزب الشياطين؛ فحـزب الأنبيـاء يتمثل في العقــل، وحــزب الشــياطين في النفس الأمارة بالسوء.

تقولــــون: ما العقل وما النفس؟ ولست أدعي أني أضع لكل منهما حــدودًا ظــاهرة، وأميزها تمييزًا واضـحًا؛ فـإن هـذه الأمـور لا تزال في ظلمات جهلنا بها،لم يستطع العلم أن يضيء جوانبها.

---

1 (?) الـذي جـاء في أكـثر كتب اللغـة: أن لامها أصـلية، وذلك خلافًا لما في القاموس المحيط للفيروزآبادي.

كلنا يقول: «قلت لنفسي»، و: «قال لي عقلي»، فما أنت وما نفســـك؟! وما نفسك وما عقلـك؟! لم يتضح ذلك لنا بعـد؛ فلست أكشف هنا المجهـــول، ولكن أذكر بمثـــال مشاهد معلوم.

تكـــون نائمًا في ليـــالي الشـــتاء، متمتعًا بدفء الفـراش ولـذة المنـام؛ لتسـمع قـرع المنبه يدعوك إلى الصلاة، فتحس صوتًا من داخلك يقول لك: قم إلى الصلاة. فإذا جئت تقوم، سمعت صوتًا آخر يقول لك: نم قليلاً. فيعود الصوت الأول يقول: الصلاة خـير من النوم. فيقول الثـاني: النـوم لذيـذ، والـوقت متسـع، فتـأخر دقـائق. ولا يـزال الصـوتان يتعاقبـان تعـاقب دقـات السـاعة: «نم، قم، نم، قم»[1]؛ هـــذا هو العقـــل، وهـــذه هي النفس، وهذا مثال يتكرر آلاف المـرات في آلاف الصـور؛ كلما عـرض المـرء مثل هـذا

---

1 (?) ويحس مثل ذلك من يريد القفز من فوق حفرة أو ساقية، وهو يرجو الوصول ويخشى السقوط، ويسمع من نفسه صـوتين يتعاقبـان: ثب، ارجـع، ثب، ارجـع. فإن وثب عند قول: «ثب» ولم يـتردد نحج، وإن تـردد حتى جاء قـول «ارجع» ووثب، سـقط وهـذا مجـرب. اهـ.

الموقف فوقف أمــام لــذة محرمة تــدعوه نفسه إلى غشـيانها وكــان في قلبه إيمــان، يدفع عقله إلى منعة منهــا، وعلى مقـدار ما يكـون من انتصـار العقـل، تكـون قـوة هـذا الإيمان.

وليس معنى هـذا أن ينتصر العقل دائمًـا، وألا يقارب المسلم المعاصي أبدًا؛ فالإسلام دين الفطــرة، دين الواقــع، والواقع أن الله خلق خلقًا للطاعة الخالصـــــــــة، ولمحض العبادة، هم الملائكة ولم يجعلنا الله ملائكة، وخلق خلقًا شـــأنهم المعصـــية والكفر هم «الشـــياطين»، ولم يجعلنا كالشـــياطين، وخلق خلقًا لم يعطهم عقـولاً ولكن غرائـز، فلا يكلفـــون ولا يســألون وهم البهـــائم والوحوش ولم يجعلنا الله وحوشًا ولا بهائم.

فما نحن إذن؟ ما الإنسان؟

الإنســان مخلـوق متمـيز؛ فيه شـيء من الملائكة وشيء من الشـياطين، وشـيء من البهائم والوحوش؛ فإذا استغرق في العبادة، وصـــفا قلبه إلى الله عند المناجـــاة، وذاق حلاوة الإيمـــان في لحظـــات التجلي، غلبت عليه في هذه الحال الصفة الملكيـة، فأشـبه

الملائكة الذين: ﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَـرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ **[التحريم: 6]**.

فـإذا جحد خالقه وأنكر ربـه، فكفر به أو أشـرك معه في عبادته غـيره، غلبت عليه في هذه الحال الصفة الشيطانية.

وإذا عصف به الغضـب، فـأوتر أعصـابه، وألهب دمه، وشد عضلاته، فلم يعد له أمنية إلا أن يتمكن من خصـمه فيعضه بأسـنانه وينشب فيه أظـافره، ويطبق على عنقه بأصـابعه فيخنقه خنقًا ثم يدعسه دعسًـا، غلبت عليه في هذه الحال الصفة الوحشية، فلم يبق بينه وبين النمر كبـير فـرق، وإذا عضه الجـوع وبـرح به العطش، وانحصـرت آماله في رغيف يملأ معدتـه، كـأس تبل صـداه، أو تملكته الشـهوة وسـيطرت على نفسه الرغبة الجنسـية فغلى بها دمه واشـتعلت بها عروقه وامتلأ ذهنه بخيـالات الشبق وأمانيه، غلبت عليه في هـذه الحـال الصفة البهيمية، فكان كالفحل أو الحصـان، أو ما شئت من أصناف الحيوان.

هذه حقيقة الإنسان؛ فيه الاستعداد للخير والاسـتعداد للشـر، أعطـاه الله الأمـرين

ومنحه العقل الذي يميز به بينهمــا، والإرادة الـتي يسـتطيع بها أن يحقق أحـدهما؛ فـإن أحسن اسـتعمال عقله في التميـيز وأحسن استعمال إرادته في التنفيذ ونمى استعداده للخــير حــتى تخلق به وأنجــزه، كــان في الآخرة من السعداء، وإن كانت الأخرى كان من المعذبين.

صحيح أن النفس مطبوعة على الحريــة، والدين قيـد، ولكن لابد من هـذا التقيـد، ولو تركناها تــأتي الفــواحش كما تشــاء انطلاقًا من طبع الحرية فيهـــــا، لصـــــار المجتمع مارســــــتانا كبــــيرًا؛ لأن الحرية المطلقة للمجانين: المجنون يفعل كل ما يخطر على بالــه، يمشي على الطريق عاريًــا، ويــركب على كتفي ســـــائق الســــيارة العامــــة، ويستحسن ثوبك فيأخـذه من فـوق كتفيـك، وتعجبه بنتك فيطلبها منك بحق الغــــرام، لا بشرعة الإسلام.

المجنون هو الحرُّ الحرية المطلقــة، وأما العاقل فـإن عقله يقيد حريتـه، وما العقـل؟ إن لفظه مشتق من الأصل الذي اشتق منه العقــال؛ أي الحبل الــذي يقيد به الجمــل،

والحكمة قريبُ معنىً من حكمة الدابة، وهي كذلك قيد، والحضارة قيد؛ لأنها لا تدعك تفعل ما تريد؛ بل توجب عليك مراعاة حقوق الناس وأعراف المجتمع، والعدالة قيد؛ لأنها تضع نهاية لحريتك حيث تبدأ حرية جارك.

ثم إن المعاصي لذيذة؛ لأنها توافق طبيعة النفس؛ إنك تجد لذة في سماع الغيبة والمشاركة فيها لأنها تشعرك بأنك خير من هذا الذي يذكرونه بالسوء وأفضل، والسرقة لذيذة لأن فيها امتلاك المنال بلا كد ولا نصب، والزنا لذيذ لأن فيه إعطاء النفس هواها وإنالتها مشتهاها، والغش في الامتحان لذيذ لأنه يوصل إلى النجاح بلا جهد، والهرب من الواجب -مهما كان- لذيذٌ على النفس لأن فيه الراحة والكسل.

ولكن الإنسان حين يفكر ويستعمل عقله، يجد أن هذه الحرية المؤقتة لا تساوي ما بعدها من سجن في جهنم طويل، وهذه اللذة المحرمة، لا تعدل ما بعدها من العذاب.

من يرضى أن نجعل بيننا وبينه عهدًا،

اتفاقية عند الكــاتب العــدل مــدتها ســنة، نعطيه خلالها كل ما يطلب من مـــــــــال، ونســكنه في القصر الــذي يريــد، في البلد الذي يختار، ونزوجه بمن شــاء من النســاء، مثــنى وثلاث وربــاع، ولو طلق كل عشــية واحــدة، وتــزوج كل صــباح أخــرى، ولا نمنع عنه شــيئًا يريــده، ولكنا إذا انقضت الســنة، علقنـــاه من عنقه على المشـــنقة حـــتى يموت! ألا يقـول: «تعسًـا وبعـدًا للـذة سـنة بعــدها المــوت»! ألا يتصــور نفسه ســاعة يعلق على المشـنقة، فـيرى أنه لم يبق في يـده شـيء منهـا؟! مع أن ألم الشـنق بعض دقيقة، وعذاب الآخرة دهر طويل.

ليس منا أحد لم يقـــارف في عمـــره معصية، ولم يجد لهذه المعصـية لـذة؛ أقلها أنه آثر متعة الفـــراش مـــرة على القيـــام لصلاة الفجر، فماذا بقي في أيـدينا الآن من هــذه اللــذة الــتي أحسســنا بها قبل عشر سـنين! وليس منا أحد لم يكـره نفسه على أداء طاعـــة، ولم يحمل لهــذه الطاعة ألمًا أقله الجــوع والعطش في رمضــان، فمــاذا بقي في نفوســنا الآن من ألم الجـــوع في

رمضـــان الـــذي جـــاء من عشر ســـنين؟ لا شيء.

ذهبت لــــذات المعاصي وبقي عقابهـــا، وذهبت آلام الطاعات وبقي ثوابهـا، وسـاعة المـوت ما الـذي يبقى لنا – تلك السـاعة – من جميع اللذائذ الـتي ذقناها والآلام الــتي حملناها؟

إن كل مــؤمن يريد أن يتــوب ويرجع إلى الله ولكنه يؤجل ويســوف، أنا كنت أقــول: إذا حججتُ تبتُ وأنبت، ثم رأيتُ أني حججتُ وما تبت، وكنت أقـــــول: إذا بلغت الأربعين تبت، فبلغتها وما تبت، وجـــــاوزت الســـتين وما تبت، وشـــبت وما تبت. ليس معـــنى هـــذا أني مقيم على المحرمـــات، مـــرتكب للفـــواحش، لا وبحمد الله ولكن معنـــاه أن الإنســـان يرجو لنفسه الصـــلاح، ولكنه يســوف؛ يظن أن في الأجل فســحة، يحسب أن العمر طويل فــيرى المــوت قد طرقه فجـأة، وقد رأيت أنا المـوت مـرتين، وعـرفت ما شـعور الميت، لقد نـدمت على كل دقيقة أضعتها في غير طاعة – إي والله – فلما نجـــوت بقيت على هـــذا الشـــعور

شــهورًا، صــرت فيها صــالحًا، ثم انغمست مــرة ثانية في غمــرة الحيــاة، ونســيت.. نسيت الموت.

كلنا ننسى الموت، نرى الأمـوات يمـرون بنا كل يــوم، ولكن لا نتصــور أننا ســنموت، نقف في صــــلاة الجنــــازة ونحن نفكر في الــدنيا، يظن كل واحد منا أن المــوت كتب على النـاس كلهم إلا عليـه، مع أن الإنسـان يعلم أن الــدنيا موليــةٌ عنــه، وأنه مــولٍّ هو عنها.

مهما عـــاش الإنســـان فهو ميت، ليعش ســتين ســـنة، ليعش ســبعين، ليعش مائة ســنة، ألا تنقضــي؟ ألا تعرفــون من عــاش مائة ســنة ثم مـات؟ نـوح لبث يـدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة فأين نوح الآن؟ هل بقيت له الــدنيا؟ هل ســـلم من المـــوت؟ فلمـاذا لا نفكر في المـوت، ونسـتعد له إن كان لابد منه؟!

من كانت أمامه سفرة لا يعرف موعـدها ألا يتهيأ لها؛ حـتى يكـون جـاهزًا، فـإذا دعي أجـاب؟ رأيت – وكنت في الصـيف الماضي في عمـــان – المعلمين الأردنـــيين الـــذين

تعاقــــدوا مع المملكة العربية الســــعودية للعمل فيهــا، وقد خــبروهم أن الطيــارات تنقلهم تباعًــا، فليســتعدوا، فمن أنجز جــواز ســفره، وأكمل حــزم متاعــه، وودع أهلــه، ووضع إلى جنبه ثيابه فإنه يلــــــبي في أي ساعة يدعى فيها، فيلبس ثيابه ويمضي إلى المطــار، ومن أهمل وأجل حــتى إذا قــال لهم: أملهــوني حــتى أنــزل إلى الســوق فأشتري متــاعي، وأذهب إلى القرية فـأودع أهلي، وأراجع الحكومة لاســتخراج جــوازي- لم يمهلــوه؛ بل ذهبــوا وتركــوه، ولكن ملك الموت إذا جــاء لا يتركه ويـذهب؛ بل يأخـذه كرهًا؛ يأخذه ولو كـان آبيًـا، لا يمهله ســاعة، ولا دقيقــة، ولا لمحــة، ولا يملك أن يمهلــه، وليس يعرف أحد منا متى يأتي ليأخذه ملك الموت.

وما المــوت؟ ما حقيقتــه؟ إن لحيـــاة الإنســان مراحــل: فمرحلة وهو جــنين في بطن أمــه، ومرحلة وهو في هــذه الــدنيا، ومرحلة وهو في البرزخ بين الدنيا والآخرة؛ من يــوم موته إلى يــوم القيامــة، والمرحلة

الدائمة وهي الحيـــــــــــاة الحقيقية مرحلة الآخرة، ونســبة كل مرحلة لما قبلها كنســبة ما بعدها إليها.

إن سعة هذه الدنيا بالنســبة لضــيق بطن الأم كســعة الــبرزخ بالنســبة لهــذه الــدنيا وسعة الآخــرة بالنســبة للــبرزخ، إن الجــنين يحسب دنيــاه هــذا البطن، ولو عقل وفكــر، وسئل وأجاب، لقال بــأن خروجه منه مــوت محقــق، ولو كــان في البطن توءمــان فولد أحــدهما قبل الآخــر، ورآه نــزل قبله ففارقه وقد كــان معــه، لقــال بأنه مــات ودفن في الأعماق، ولو رأى المشيمة الــتي كــانت من جســـده ملقـــاة مع القمامة لظن بأنها هي أخوه وبكى عليهــا، كما تبكي الأم حين تــرى جسد ولــدها الــتي كــانت تخشى عليه مس الغبــار؛ قد أودع الــتراب، لا تــدري أن هــذا الجسد كالمشـــــيمة، قميص توسخ وألقي، ثوب انتهى وقته، وانقضت الحاجة إليه.

هذا هو الموت، إنه ولادة جديــدة، خــروج إلى مرحلة أطـــــــــول وأرحب من مراحل الحياة، وما هذه الدنيا إلا طريق، حياتنا فيها كحيـــاة المهـــاجر إلى أميركـــا؛ إنه يحسن اختيــار غرفته في البــاخرة، ويحــرص على

راحته فيها ويهتم بهـــا، ولكن هل ينفق ماله كله على تجديد فرشها ونقش جدرانها حتى لا يبقى معه شـــــــيء؛ فيصل إلى أميركا مفلسًـا خـالي الوفـاض، أم يقـول: إن مـدة بقـائي في هـذه الغرفة أسـبوعٌ، فأنا أرضى فيه بما تيســر، وأُمشِّــي فيه الحــال وأدخر المــال لإعــداد الــدار الــتي سأســكنها في أميركا؛ لأن فيه المقام!

أتعرفون ما مثال الدنيا والآخرة؟! أعلنت أميركا مـــــــرة عن تجربة ذرية تجريها في جزيرة صغيرة من جزر البحر الهادي، وكان ذلك من خمس عشرة سنة أو نحوها، وكان في الجزيــرة بضع مئــات من الســكان من صـــياذي الأســـماك، فطلبت إليهم إخلاء مساكنهم، على أن تعوضهم عنها وعما فيها بـــبيوت مفروشة في أي بلد يريـــدون من البلدان، على أن يعلنوا اســتعدادهم لإخلائها وإحصائهم لما فيها قبل موعد كذا، وحـددت لهم موعداً، ثم تأتي الطيارات فتحملهم من الجزيرة.

فمنهم من أعلن الاستعداد للإخلاء، وقدم الإحصـــاء قبل الموعـــد، ومنهم من أهمل

وأجل حتى قرب الموعـد، ومنهم من قـال: هـذا كله كـذب، ما في الوجـود من مكـان اسمه أميركـا، وما الـدنيا إلا هـذه الجزيـرة، ولسنا نتركها، ولا نرضى أن نفارقها. ونسي أن الجزيـرة ستنسف كلها فتكـون أثـرًا بعد أن كانت عينًا، هذا مثل الدنيا.

والأول: مثل المــؤمن الــذي يفكر في آخرته، ويستعد بالتوبة والطاعة دائمًا للقــاء ربه.

والثاني: مثل المؤمن المقصر العاصي.

والثـالث: مثل المــادي الكــافر الــذي يقول: إنما هي حياتنا الـدنيا لا حيـاة بعـدها، وإن المــوت نــوم طويــل، وراحة دائمــة، محقق.

وليس معنى هـذا أن الإســلام يطلب من المســلم أن يزهد في الـدنيا مـرة واحــدة، وينفض أصـــابعه منهـــا، ولا أن يســـكن المساجد فلا يخـرج منهـا، ولا أن يـأوي إلى مغارة يمضي حياته فيها؛ لا.. بل إن الإسلام يطلب من المســـلمين أن يكونـــوا في الحضـارة الخـيرة سـادة المتحضـرين، وفي

المال أغنى الأغنياء، وفي العلم – العلم كله – أعلم العلماء، وأن يعـرف كل مسـلم حق جسده عليه بالغـذاء والرياضـة، وحق نفسه بالتسلية والاستجمام والمتعة بغـير الحـرام، وحق أهله بالرعاية وحسن الصـــحبة، وحق ولـــده بالتربية والتوجيه والعطـــف، وحق المجتمع بالعمل على كل ما يصـــلحه، كما يعرف حق الله بالتوحيد وبالطاعة.

يجمع المـال ولكن من الحلال، ويسـتمتع بالطيبـات المباحـة، ويكـون في الـدنيا على أحسن ما يكون عليه أهلها؛ بشرط أن يبقى صحيح التوحيد، لا يداخل إيمانه شرك ظاهر أو خفي، صـحيح الإسـلام، يـدع المحرمـات ويأتي الفرائض، وأن يكون المال في يده لا في قلبه، لا يكون اعتمـاده عليـه، بل يكـون اعتمـاده على ربـه، وأن يكـون رضا الله هو مقصده، ومبتغاه، والله الموفق.

* * * *